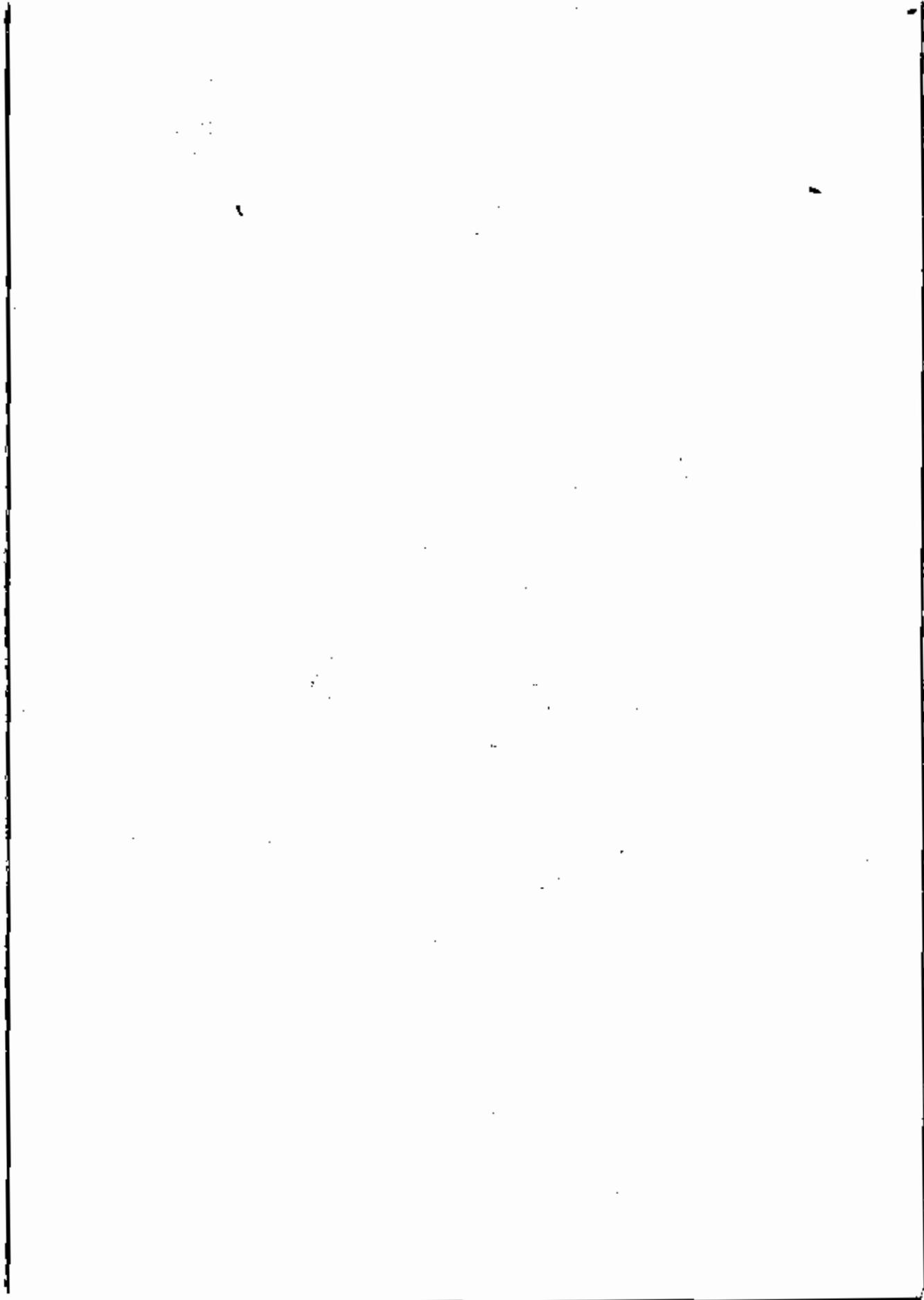


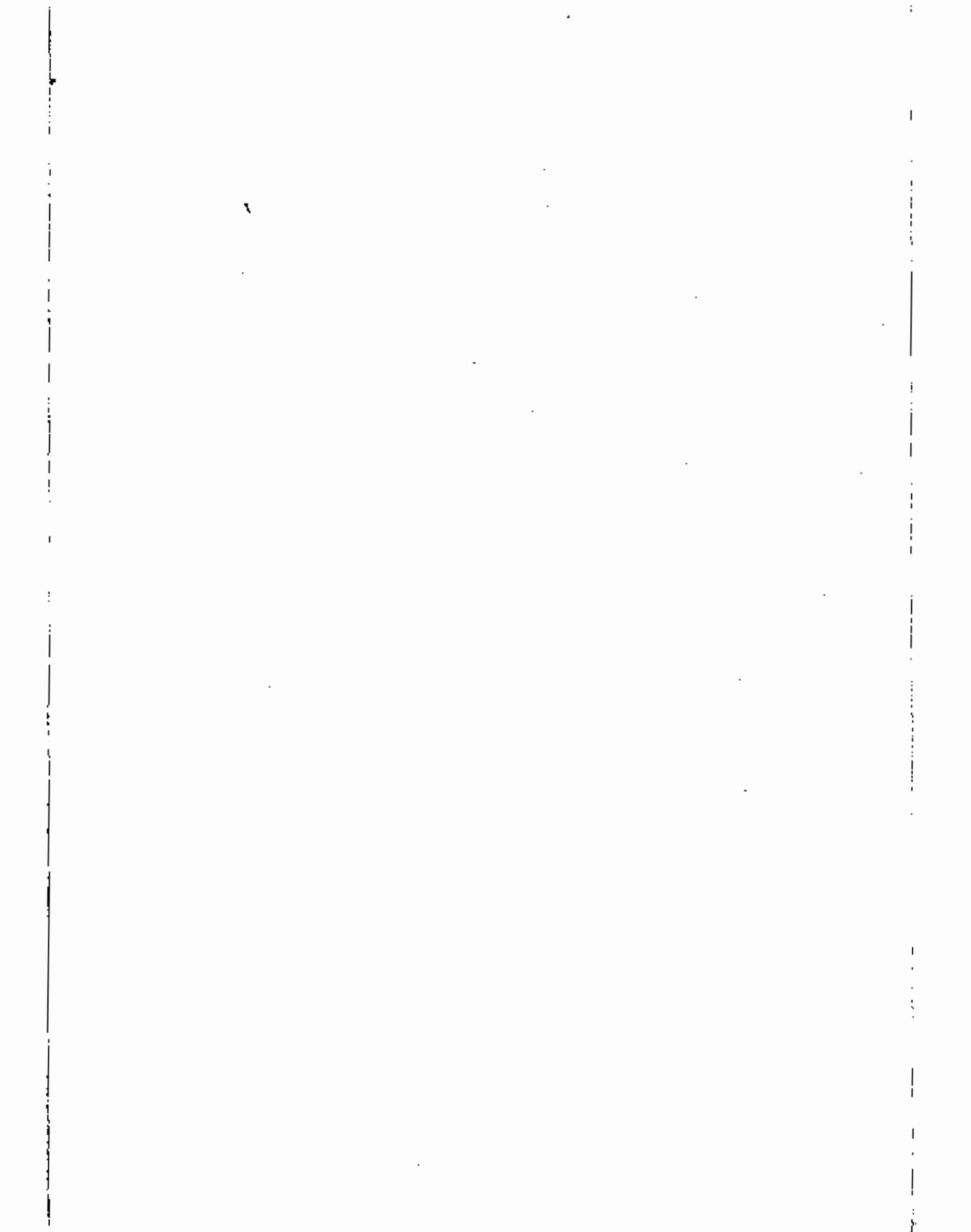


جامعة الإسكندرية
مجلة
كلية الآداب

العدد الخمسون
م ٢٠٠٠ / ١٩٩٩

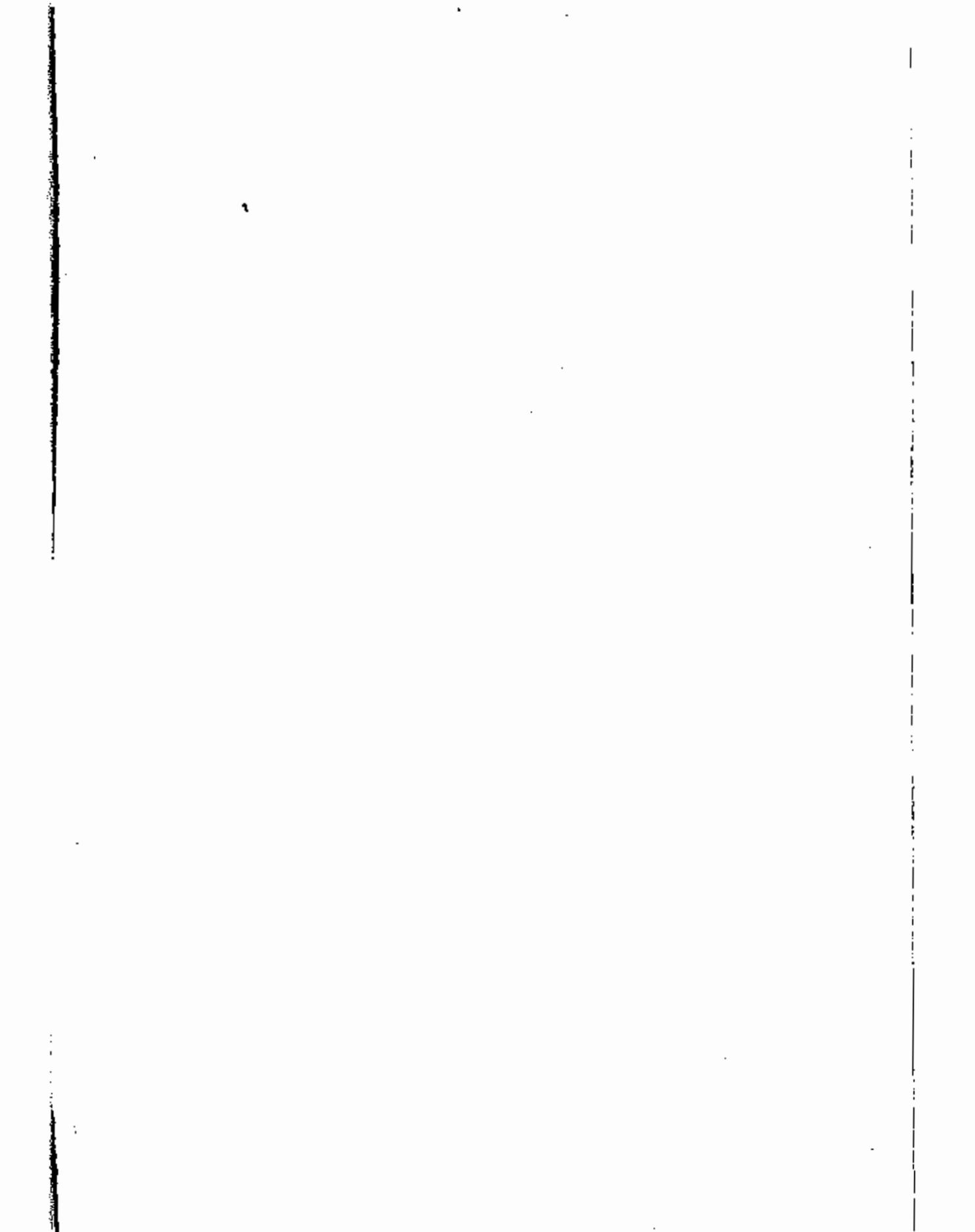
المجلد الثاني





تصدر «مجلة كلية الآداب» وإصداراتها محكمة عن كلية الآداب
بجامعة الإسكندرية وتقدم مخطوطات البحوث مكتوبة على الكمبيوتر من
ثلاث نسخ، ويجب ألا يزيد عدد صفحات البحث على ثمان وأربعين صفحة
من القطع المتوسط مكتوبة على الكمبيوتر.

تقدم البحوث وتكون جميع المراسلات باسم :
الأستاذ الدكتور / عثمان سليمان موافى
وكلية كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث ورئيس تحرير مجلة كلية الآداب
كلية الآداب – جامعة الإسكندرية
الشاطبي – الإسكندرية
جمهورية مصر العربية



مؤتمر الإسكندرية الدولي الثالث
للتبادل الثقافي بين شعوب البحر المتوسط
(الخصائص الثقافية وآفاق التعاون)
في الفترة من ١٢ - ١٥ أغسطس ١٩٩٨م

رئيس المؤتمر

الأستاذ الدكتور / **محمد عبده محجوب**
عميد كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

أمين عام المؤتمر

الأستاذ الدكتور / **عثمان سليمان موافي**
وكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث - جامعة الإسكندرية

يتضمن هذا المجلد

بحوث مؤتمر الإسكندرية الدولي الثالث
للتبادل الثقافي بين شعوب البحر المتوسط
المنعقد بقاعة المؤتمرات في الفترة من ١٢ - ١٥ أغسطس ١٩٩٨م

مجلة كلية الآداب

مجلس التحرير

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور محمد عبده محجوب

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور عثمان سليمان موافى

أعضاء مجلس التحرير

أ.د. فوزى سعد عيسى

أ.د. أوجا محمد مطر

أ.د. ضحى شبيحة

أ.د. نبيلة حسن

أ.د. فايز العيسوي

أ.د. على عبد المعطى

أ.د. السيد عبد العاطى

أ.د. محمد عباس

أ.د. عزت قادوس

د. خالد رفعت

أ.د. مایسة النیال

د. جمال الخولى

2

المحتويات

الصفحة	الموضوع
١١	- من مظاهر البعد المتوسطى فى الثقافة الأندلسية أ.د. أحمد مختار العبادى
٢٩	- من ثمار التواصل الثقافى بين مصر وفرنسا أ.د. عبد الرحمن العيسوى
٥٣	- الدراسات العربية فى مدريد د. خالد إبراهيم سالم
٦٥	- التبادل الثقافى بين الإسكندرية والغرب الإسلامى أ.د. السيد عبد العزيز سالم
٨٥	- العلاقات القديمة بين حضارات شرق المتوسط خلال دراسة الأساطير اليونانية أ.د. محمد السيد عبد الغنى
٩٩	- أثر ثقافات حول البحر المتوسط فى شرح أسفار العهد القديم د. فائزة عبد الفتاح عز الدين
١٤٥	- أثر حضارات جزر البحر المتوسط فى الحضارة الليبية القديمة د. إبراهيم حسين محمد
١٦٥	- رحالة من المغرب إلى المشرق-راشيل آرييه- ترجمة عن الأسبانية وتعليق د. ماهر عبد العزيز سالم
١٩٣	- رحلات عيسى بن ناصح الجزيرى وأثرها فى تشكيل ثقافة الأندلس د. إبراهيم سلامة أبو العلا

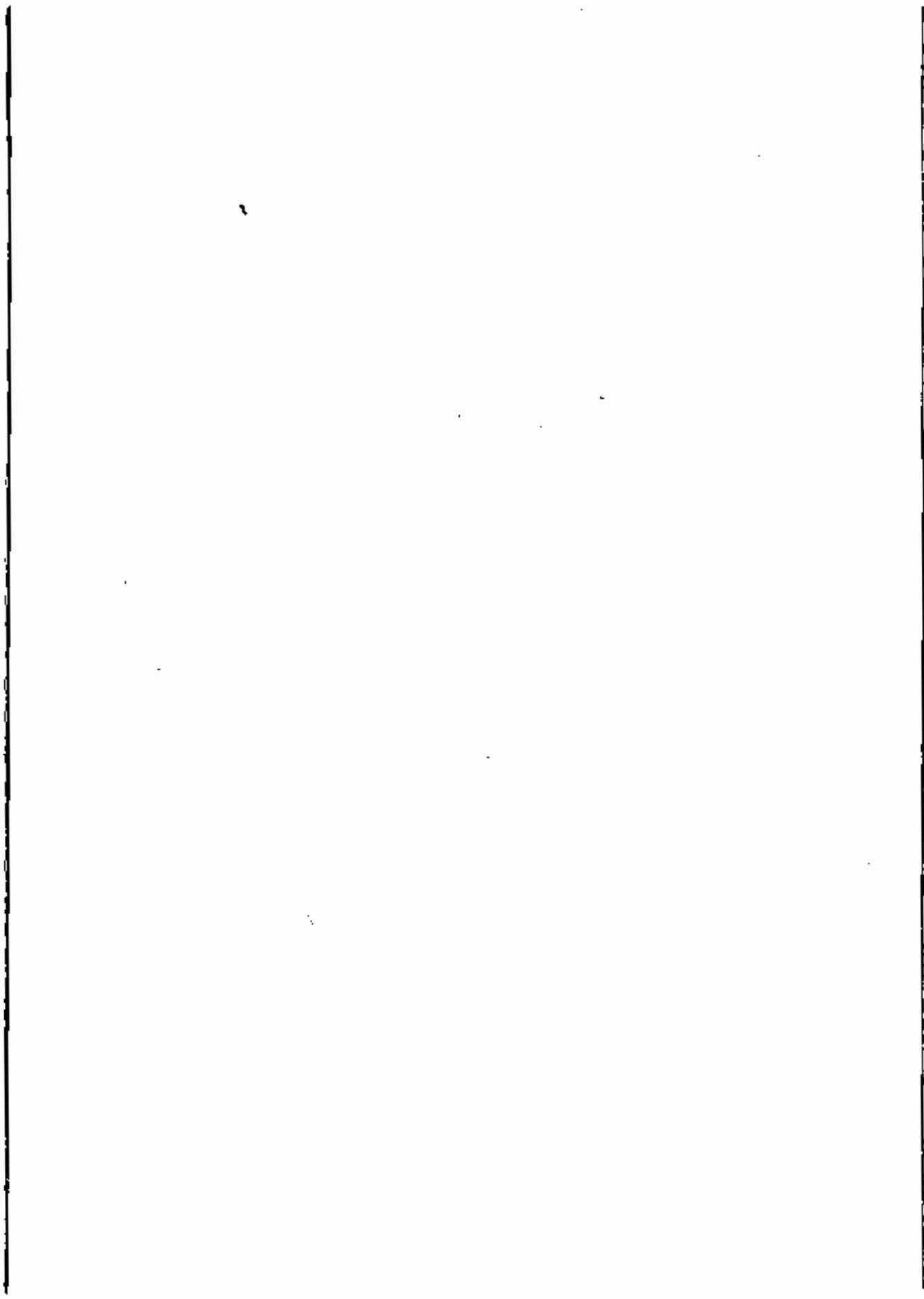
الصفحة	الموضوع
٢٢٧	- المراكز الثقافية فى مصر والشام فى القرون المسيحية الأولى أ.د. محمود عمران
٢٦٧	- الاتجاه نحو الكلاسيكية فى فنون الكتابة فى حوض البحر المتوسط، بحث فى الفنون التشكيلية والتعبيرية د. بدر الدين عوض بدر الدين
٢٩٣	- التواصل الحضارى لفن النحت الملمستى بين شعرب البحر المتوسط القديمة د. صلاح الدين القمرى
٣٠٩	- رسم المخطوطات الأندلسية وتأثيرها بالحضارة العربية د. أحمد رجب
٣٢٥	- لعب الأطفال كوسيلة من وسائل تثقيف الطفل فى حضارات شعرب البحر المتوسط القديمة أ.د. عزت زكى حامد قانوس

من مظاهر البعد المتوسطى فى الثقافة الأندلسية

بمّ مقلد من

الأستاذ الدكتور

أحمد مختار العبادى



من مظاهر البعد المتوسطي الثقافي في الأندلس (البعد اليوناني اللاتيني)

موضوع البعد المتوسطي في الثقافة الأندلسية، موضوع واسع متشعب نظراً لارتباط الأندلس -أو إسبانيا الإسلامية- بشعوب البحر المتوسط شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً على اعتبار أن الأندلس كانت تمثل نهاية العالم المعروف غرباً ويلبها بحر الظلمات أو المحيط الأطلسي.

ومن المعروف أن الفتح العربي للأندلس تم على يد موسى بن نصير وطارق بن زياد في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٧١١هـ / ٧١١م.

وواضح أن هذا الفتح لم يكن حدثاً عسكرياً بقدر ما كان حدثاً حضارياً امتزجت فيه حضارات متوسطة سابقة، كالفينيقية واليونانية والرومانية والقوطية، مع حضارة جديدة لاحقة، وهي الحضارة العربية الإسلامية، وتنتج عن هذا المزيج حضارة أندلسية مزدهرة وصلت إلى الفكر الأوربي للمجاور وأثرت فيه.

كذلك من المعروف أن الحضارة الأندلسية لم تنشأ فجأة بل مرت في أدوار مختلفة، وخضعت لمؤثرات شرقية شامية وحجازية ومصرية وعراقية تربطها عبر البحر المتوسط بالوطن الأم باعتبارها جزءاً منه^(١)، كما خضعت لمؤثرات مغربية إفريقية بحكم ارتباطها ببلاد المغرب والسودان المصالبة لها من الجنوب^(٢). وكذلك خضعت لمؤثرات محلية أوربية بحكم البيئة التي نشأت فيها كدولة من دول البحر الأبيض المتوسط في قلب أوروبا.

(١) راجع :

Mahmoud Makki : Ensayo sobre Aportaciones Orientales en la España Musulmana, Madrid, 1967.

(٢) قظر على سبيل المثال : عبد العزيز بن عبد الله : معطيات الحضارة المغربية، دار الكتاب العربية بالرباط.

وهذا التداخل والتواصل بين الحضارتين الإسلامية والأوربية، وهذا الاختلاط البشرى أو الزواج المشترك بين اللغتين وأهل البلاد أدى إلى ظهور طبقة اجتماعية جديدة هي طبقة المولدين، كما أدى إلى انتشار ظاهرة ازدواجية اللغة العربية والإسبانية بين أبنائها، وكل هذا أعطى الأندلس طابعاً فريداً وثقافةً مميزة، تتسم بثلاث صفات مجتمعة في وقت واحد وهي : العروبة والإسلام والإسبانية.

ونظراً لاتساع هذا الموضوع، فإننا نقتصر هنا على بعض هذه الأبعاد المتوسطة التي تأثرت بها الأندلس، وهو البعد اليوناني واللاتيني.

أولاً : البعد اليوناني أو الإغريقي :

كانت العلاقات الدبلوماسية الوطيدة التي قامت لأول مرة بين قرطبة والقسطنطينية، بدايةً لسلسلة من الاتصالات والسفارات التي تبودلت بين أمراء وخلفاء الأندلس وبين أباطرة الدولة البيزنطية التي كانت لغتها الرسمية هي اللغة اليونانية^(١).

على أن موضع الأهمية هنا هو أن هذا الاتصال السياسي قد صحبه أيضاً اتصال حضاري، فالسفارة التي أرسلها الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر سنة ٣٣٧هـ / ٩٤٨م حملت معها من جملة الهدايا نسخة خطية من الكتاب اليوناني المشهور باسم الأدوية المفردة *Materia Medica* أو كتاب الحشائش الذي ألفه Dioscorides ديوسقوريدس وهو طبيب أو عقّاب يوناني عاش في القرن الأول الميلادي في بلدة عين زربة *Anzarbio* قرب طرسوس في جنوب آسيا الصغرى. ونظراً لأهمية هذا الكتاب في مجال الطب والصيدلة، فقد أمر خليفة قرطبة عبد الرحمن الناصر بترجمته

(١) الإمبراطورية البيزنطية (أو الرومانية للشرقية) بدأت ليها اللغة اللاتينية كلفة رسمية منذ تأسيس القسطنطينية في القرن الرابع الميلادي حتى القرن السادس الميلادي، وفي خلال هذه المدة أخذت اللغة اليونانية تزداد انتشاراً على حساب اللاتينية بحيث لم يأت القرن السابع الميلادي (الأول الهجري) حتى أعلنت اللغة اليونانية لها للغة الرسمية في البلاد.

إلى العربية^(١). وشكلت لجنة علمية لهذا الغرض كان من بين أعضائها الطبيب عبد الرحمن بن الهيثم، وأبو عبد الله الصقلي الذي كان يجيد اللغة اليونانية وله إلمام بتركيب العقاقير، والراهب نيقولا اليوناني الذي أرسله الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع للمساهمة في هذا العمل العلمي الكبير^(٢).

وقد أثار ظهور هذه الترجمة الكاملة لكتاب ديوسقوريدس موجة من الحماس بين الأندلسيين الذين أقبلوا على دراسته وشرحه، ثم الإضافة إليه من تجاربهم الخاصة طوال القرون التالية.

ومن بين العلماء الذين برزوا في هذا الميدان بالأندلس، عبد الرحمن بن الهيثم، طبيب المنصور بن أبي عامر الذي كتب عدة شروح على كتاب ديوسقوريدس. وبالمثل يقال عن الطبيب عبد الرحمن بن واهد اللخمي (ت ٤٦٦هـ) الذي كان وزيراً وطبيباً ليحيى المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة (٤٢٨ - ٤٦٧هـ) لقد اطلع هذا الطبيب على كتاب ديوسقوريدس وجالينوس^(٣) وكتب مؤلفاً ضخماً عن الأدوية المفردة ضمنه خلاصة تجاربه التي تقوم على مبدأ التداوي بالتغذية أولاً ثم بالأدوية المفردة وأخيراً بالأدوية العركية^(٤).

(١) سبق أن ترجم كتاب ديوسقوريدس إلى العربية ترجمة جزئية قبل ذلك الوقت بنحو قرن من الزمان في بغداد على عهد الخليفة المتوكل العباسي (٢٣٧ - ٢٤٧هـ) غير أن المترجم له واسمه اصطقان باميل لم يترجم سوى جزء من أسماء الأدوية المفردة لعدم معرفته بما يقابل اليونانية فيها، ولهذا ظلت أسماء بالي للعقاقير الطبية على صورتها لليونانية بحروف عربية.

(٢) راجع: ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٣١٣ - ٣١٥، المقرئ: نفع الطبيب، ج ١، ص ٣٢٤، والنسخة الخطية من هذه الترجمة العربية محفوظة في مكتبة البولوايه باكسفورد. راجع أوليري: مسائل الثقافة الإغريقية إلى العرب، ص ٢٥٧، ترجمة د. تمام حسان، القاهرة ١٩٥٧.

(٣) جالينوس Galien (١٣١ - ٢٠١م) طبيب يوناني له اكتشافات في عالم التشريح اهتم به أطباء العرب.

(٤) تراث الإسلام، القسم الثالث، ص ١٣٢، حاشية عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨.

كذلك نذكر أعظم العشائين في عصره، ضياء الدين بن البيطار الملقب
الإشبيلي، صاحب كتاب "الجامع لمفردات الأغذية والأدوية"^(١).

سافر ابن البيطار إلى اليونان ولقى بلاد الروم والشرق، كما سافر
إلى مصر والشام، واتخذ الملك الكامل الأيوبي طبيباً خاصاً وجعله رئيساً على
الحكام وسائر العشائين، ثم جعله متقدماً في دمشق حيث تتلمذ على يديه الطبيب
ابن أبي لصيعة الدمشقي (ت ٦٦٨هـ) الذي وصف أستاذه في كتابه "عيون
الأبناء في طبقات الأطباء" بقوله: «كنت أجد من غزارة علمه ودراسته شيئاً
كثيراً، وكان لا ينكر دواء في جوابه لمن يسأله إلا ويعين في أي مكان من
ديوسقوريدس وجالينوس»^(٢). وقد تولى ابن البيطار في دمشق سنة ٦٤٦هـ/
١٢٤٨م من عشبة سامة أكلها أثناء تجاربه فمات منها شهيداً للعلم^(٣).

وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر، تمخضت
السفارات التي تبولت بين البلدين عن آثار فنية موهبة لها قيمتها؛ إذ يؤثر عنه
أنه طلب من العاهل البيزنطي نيقفور فوكاس أن يرسل إليه خبيراً في صنع
للفسيفساء كي يعمل على تزيين الزيادة للمعمارية في المسجد الأموي بقرطبة،
لمستجاب لطلبه وأرسل له ما أراد. هذا إلى جانب الموارى أو الأعمدة
للرخامية التي سبق أن ساهمت بها القسطنطينية في بناء مدينة الزهراء على عهد
والده عبد الرحمن الناصر وعددها مائة وأربعون سارية^(٤).

(١) طبع كتاب ابن البيطار في بولاق في أربع مجلدات ١٨٧٤م، وترجمه إلى الفرنسية
للمستشرق لكارك

Leclerc : Traité des Simples.

(٢) ابن أبي لصيعة : عيون الأبناء في طبقات الأطباء، ج ٢، ص ١٢٣، القاهرة، ١٨٨٢م،
وقد نشره حديثاً فولاد رضا بمكتبة الحياة ببيروت. راجع كذلك : جوثالث بالنتيا : تاريخ
التفكر الأندلسي، ص ٤٧٩، ترجمة حسين مؤنس.

(٣) المقرئ : نفع الطب، ج ٤، ص ٣٤٨، طبعة محيي الدين عبد الحميد.

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب، ج ٢، ص ٢٣١، الحموري : الروض المعطار، ص ٨٠ -

والواقع إن علوم اليونان وأسماء أبطالها كانت معروفة ومألوفة بين الأندلسيين^(١). فالشاعر الزجاجي سعد بن عبد ربه (ت ٣٤١هـ / ٩٥٢م) وهو ابن عم صاحب العقد الفريد أحمد بن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ / ٩٤٠م) كان معنياً بكتابات الإغريق وعلوم الأوائل والفلسفة^(٢). كذلك يروي المقرئ في كتابه "فتح الطبيب من خصن الأندلس الرطب" أن المغنى العراقي الفارسي الأصل أبا الحسن علي بن نافع الملقب بزرياب، هاجر من بغداد إلى الأندلس هو وفرقتة وأولاده في أول عهد أمير قرطبة الأموي عبد الرحمن الثاني أو الأوسط سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٣م، ويقال إنه إلى جانب تأثره بالموسيقى والألحان الفارسية التي تعلمها على أستاذه إسحاق الموصلي في بغداد، فإنه -أي زرياب- استطاع كذلك أن يخلُ الرموز الموسيقية أو جدول الأوتار الموسيقية^(٣) التي وضعها العالم اليوناني المصري بطليموس القلوذي Claudius Ptolemy (ت ١٧٠م) وأن يحفظ منها - على حد قوله - عشرة آلاف مقطوعة من الأغاني بألحانها^(٤). وكتاب بطليموس هذا عبارة عن موسوعة يونانية في الرياضيات والفلك والجغرافية والموسيقى، ويسمى الكتاب الأعظم في الحساب Megale Matematike وقد حوّر العرب لفظة مجال إلى مجسطى فقالوا كتاب المجسطى لبطليموس. وقد استفاد منه علماء المسلمين وشرحوه وأضافوا إليه^(٥).

ويقال إن هذا الكتاب ترجم إلى العربية على يد الحجاج بن يوسف بن مطر الحاسب، في عهد هارون الرشيد.

^(١) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠٢، نشر جاينجوس Gayangos وترجمة إسبانية لريبريا Ribera، وكذلك جونثالث بالنتيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٢٠٢ - ٢٠٦.

^(٢) بالنتيا: نفس المرجع، ص ١٥٦.

^(٣) Table of Chords راجع أوليري: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ص ١٥٧، ترجمة تمام حسان.

^(٤) المقرئ: فتح الطبيب، ج ٤، ص ١٢٣.

^(٥) عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٢٥، وما بعدها بيروت، ١٩٧٠.

وفي مجال الفلسفة نشير إلى الفيلسوف الكبير أبي الوليد محمد بن رشد القرطبي (ت ٥٩٥هـ / ١١٩٨م) الذي عاش في دولة الموحدين في المغرب والأندلس وتمتع بتأييد وتشجيع الخليفة العالم أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الذي كان مهتماً بفلسفة أرسطو، وأشار على ابن رشد بشرح كتبه. ولهذا اشتهر ابن رشد بشروحه لكتب أرسطو التي صارت تدرس في جامعات أوروبا. وقد بلغ من حب الأوربيين لشروحه أنهم تخيلوا أرسطو بعمامة كما يقولون، وذلك لأن كتابات ابن رشد امتازت بالأمانة في الترجمة^(١)، والقوة في الشرح ولهذا أطلقوا عليه اسم المعلم الأكبر وصممه Averroes وقد وضعه الشاعر الإيطالي دانتي في ملحمة الكوميديا الإلهية مع لضلاء الناس أمثال ابن سينا وصلاح الدين والشاعر الروماني فرجيل في منطقة الأعراف Limbo تقديراً لأعمالهم. وقد ترجم العالم الإنجليزي مايكل سكوت أعمال ابن رشد إلى اللاتينية سنة ١٢٣٠م^(٢) في مدرسة طليطلة بأسبانيا فكان أول من أدخل فلسفة ابن رشد إلى أوروبا.

وفي عصر مملكة بني نصر أروني الأحمر في غرناطة، يشير الوزير الغرناطي لسان الدين بن الخطيب إلى أن حكم اليونان كانت تدرس في الأندلس، لاسيما لأبناء الطبقة الرقبة من الملوك والأمراء، وضرب مثلاً على ذلك بالأمير إسماعيل بن الأحمر الذي كان يدرس هذه المادة على مملوك مسيحي الأصل

(١) من المعروف أن أرسطو أنكر الخلود والبحث، وصرح بأنه على العراء ألا ينتظر ثواناً أو عقاباً غير ما يلقاه في الحياة الدنيا. ولاشك أن ابن رشد لم يتخرج من ذكر ذلك ولم يحرس في ترجمته لأرسطو مثل حرس غيره من فلاسفة العصور الوسطى - مسلمين وغير مسلمين - على تقريب وجهات النظر بين آراء أرسطو من ناحية وتعاليم الأديان السماوية من ناحية أخرى، وإنما اختار أن يعبر أن آراء أرسطو تعبيراً أميناً صادقاً كما لهما من أرسطو، ولاشك أنه لعل ذلك بتشجيع وتأييد الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف الذي كان مهتماً بفلسفة أرسطو ولاحظ تلقى وعموض العبارات التي نقلت عنه.

(٢) أي بعد وفاة ابن رشد بحوالي ٣٢ سنة.

اسمه عباد. ويضيف المؤرخون أمثال Alvaro Galmez Fuerte أن حكم اليونان استمرت تدرس في الأتلانس حتى أيام المورمسيكين.

كذلك نلاحظ أن بعض الأندلسيين تسمى ببعض الأسماء اليونانية مثل اسم أخيل Akiles بطل حرب طروادة في آسيا الصغرى (١١٩٢ - ١١٨٤ ق.م) التي تعنى بها هوميروس في الملاحم الإغريقية، مثال ذلك عباس بن أخيل صاحب شرطة موسى بن نصير^(١)، ومثل للشاعر أبي القاسم أخيل بن إدريس الذي عاش بمدينة رنده جنوب الأتلانس على عهد الموحدين^(٢). بل إنهم أطلقوا هذا الاسم على بعض قطع أسطولهم البحري، وقد أشار بذلك المؤرخ الأسباني المعاصر لويث دي أبالا عند قوله إن ملك قشتاله ألفونسو الحادي عشر استولى على سفينة حربية غرناطية كبيرة من الطراز اليوناني تسمى Oxel^(٣) واعتقد أن هذه التسمية تحريف لكلمة أخيل على أساس أن حرف X في الأسبانية القديمة كان بمثابة الخاء ز (jota) في الأسبانية الحديثة، فضلاً عن أنه يمثل أيضاً حرف الخاء في اللغة اليونانية^(٤).

ثانياً : بعد هذا العرض الموجز للبعد اليوناني، فننتقل إلى البعد الثاني وهو البعد اللاتيني في الثقافة الأندلسية، وهو بلاشك أشد وأقوى من البعد الأول؛ لأن الرومان حكموا أسبانيا ما يزيد على ستة قرون (٢١٨ ق.م - ٤٠٩ م) وهي مدة كافية لإعطاء شبه جزيرة أيبيريا الطابع اللاتيني التي اختلطت

(١) ابن كتيبة: الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٨.

(٢) المقرئ: نفع الطبيب، ج ٥، ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

(٣) نغز

Lopez de Ayala: Crónicas de los Reyes de Castilla, Tomo I, p. 280.

(٤) نذكر بهذه المناسبة أن الكاتب الإسباني ميغل ثربانتس Cervantes (١٥٤٧ - ١٦١٦)

كتب قصته العالمية دون كيشوته Don Quijote مستخدماً حرفاً X مكان حرف J مما جعل الإنجليز يسمونها Don Quixot كويكزوت كما أطلق عليها الفرنسيون دون كيشوت.

باللهجات المحلية وتكونت منها اللغة الرومانسية Romance وهى لهجة عامية مشتقة من اللاتينية، ومنها تكونت اللغة الإسبانية ويسمىها الأندلسيون الأعجمية أو العجمية أو اللاطينية. وكان من الطبيعي نتيجة هذا الاختلاط الكبير بين الفاتحين من العرب والبربر وبين أهالى البلاد الأصليين عن طريق الحروب المتصلة والزواج المشترك، أن يتأثر أبناؤهم المولودون بأمهاتهم الإسبانيات فى لغتهم وأسمانهم وعاداتهم وطرائق معيشتهم، ونجد ذلك واضحا فى كلام ابن حزم فى كتابه جمهرة أنساب العرب حينما يتحدث عن انتشار اللغة الإسبانية بين الأندلسيين، ويعجب أن قوماً من قبيلة بلى من قضاة لا يحسنون الكلام باللاتينية لكن بالعربية فقط نساوهم ورجالهم^(١). فاستثاوه لقبيلة بلى يدل على أن الكلام بالإسبانية كان شائعاً بالأندلس، وحتى هذه القبيلة يقول عنها إن أفرادها لا يحسنون ولم يقل لا يعرفون؛ أى أنهم يعرفون اللغة ولكنهم لا يجيدونها إجابة تامة. كذلك إذا تصفحنا كتاب القضاة بقرطبة لمحمد بن حارث الخشنى نجد إشارات واضحة أن هناك قضاة بالأندلس كانوا يتكلمون الأعجمية ويناقشون بها المتهمين أثناء المحكمة^(٢).

هذا، إلى جانب كثرة اتخاذ الأندلسيين أسماء إسبانية كما ورد فى تراجم الفقهاء والكتاب والأمرء مثل ابن قزمان Cuzman، ابن بشكوال Pascual، ابن مردنيش Martinez، ابن القوطية La Goda، وابن لب El Lobo أى الذئب، شنجول Sanchuel البرميخو أى الأمسقر Bermejo، ابن الريزير Reverter أحد قواد الموحدين... إلخ.

كذلك كان من مظاهر التأثير الإسباني على الأسماء العربية فى الأندلس إضافة المقطع الإسباني الأخير الذى يتكون من الواو والنون on بالإسبانية للدلالة على التعظيم أو التكبير Soltero عازب، Solteron عانس. فهناك

(١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص ٤١٢، نشر عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٧١.

(٢) الخشنى : كتاب القضاة بقرطبة، نشر خوليان ريبيرا، ص ٩٦، ٢٣٨، ٢٨٧ - ٢٨٨.

حفص حفصون، خالد خلدون، زيد زيدون، غالب غلبون، نزهة نزهون القلاعية
القرناطية، حمده حمده... إلخ. وإن كنا لا نستبعد أن يكون مقطع الواو والنون
هذا، قد صُدِّرَ من هنا من لبنان إلى إسبانيا عن طريق الفينيقيين أو غيرهم.
فكثير من أسماء العائلات اللبنانية الأصلية القديمة انتهت أصماغها بالواو والنون
مثل شمعون وشقرون وحمدون وبيضون... إلخ، وإن كنا لا ندري إن كانت تدل
على معنى التكبير أو التفخيم كما هو الحال في الأندلس.

وإذا تناولنا الرواية التاريخية في الأندلس، وجدنا أن التاريخ الأندلسي
في مظهره وأسلوبه، تاريخٌ عربي إسلامي، له شخصيته التي فرضت نفسها
على المدونات والملاحم والحواليات المسيحية وأثرت فيها بشكل واضح ملموس،
إلا أنه في نفس الوقت قد تأثر واستفاد من الثقافة المسيحية اللاتينية في هذا
الحقل التاريخي، وذلك لأن الأمة الإسبانية التي اندمجت في جسم الدولة
الإسلامية بالأندلس لم تدخل بأشخاصها فقط بل دخلت بتاريخها وحضارتها
أيضاً، إذ لا يمكن فصل ماضيها عن حاضرها. ومن ثم عكف المؤرخون
الأندلسيون على تقصى الحقائق وتلمس الأخبار من مختلف مظانها اللاتينية
القديمة لمعرفة تاريخ بلادهم الأندلس منذ العصور السابقة للحكم الإسلامي في
إسبانيا أيام الرومان والوندال والقوط، إلى جانب معرفة أخبار الأمم الإسبانية
والأوربية المعاصرة والمصاحبة لهم. وكان هذا أمراً طبيعياً بحكم الجوار
والمعايشة والحياة المشتركة.

ومن أهم المصادر الأوربية الأساسية التي اعتمدوا عليها في هذا
الصدد: كتاب التواريخ السبعة في الرد على الوثنيين⁽¹⁾ للراهب الروماني
الإسباني Paulus Orosius هروشيوس الذي عاش في أواخر القرن الرابع

(1) Paulus Orosius : Historiarum Libri Septemadursos Paganos

وقد أضيفت له بواسطة مؤرخين لاتنيين تكملة لتاريخ القوط إلى دخول طارق بن زياد
عليهم إسبانيا.

وأوائل القرن الخامس الميلادي. والكتاب تاريخ للعالم القديم منذ بدء الخليقة حتى أيامه سنة ٤١٦م، ويتضمن معلومات عن تاريخ الرومان والأمم التي حكمت قبل الإسلام. ونظرًا لأهمية كتاب هروشيوس فقد أمر الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر بترجمته إلى العربية. وقام بهذه المهمة الفقيه الأندلسي قاسم بن أصبغ الليثاني نسبة إلى بيانة Baena من أعمال قرطبة، واشترك معه في الترجمة لئاضى النصراري ومترجمهم الوليد بن الخيزران المعروف بابن مغيث. وقد استفاد المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون من هذا الكتاب أمثال أحمد الرازي والعنزي، والبكري والإدرسي وابن خلدون وغيرهم، وقد نص بعضهم صراحة على ذلك^(١).

وقد قام الدكتور عبد الرحمن بدوي بنشر هذا الكتاب في بيروت منذ عدة سنوات. أما عن أخبار الممالك المسيحية الإسبانية التي عاصرت الحكم الإسلامي في الأندلس، فهي كثيرة ومتعددة في كتابات المؤرخين الأندلسيين، ونذكر على رأسهم المؤرخ القرطبي أبا مروان بن حيان (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م) الذي يعتبر من أعظم مؤرخي إسبانيا الإسلامية والمسيحية في العصر الوسيط. فلقد ثبت من الأخبار التي رواها في كتابيه المقتبس والمعتين أنه على دراية واسعة بكل ما يتعلق بتاريخ إسبانيا المسيحية على أيامه، بل وأيضًا بعض جوانب التاريخ الفرنسي فيما وراء جبال البركات في الشمال. ولقد أثار ما كتبه ابن حيان عن الممالك المسيحية في إسبانيا دهشة المؤرخين الذين رأوا في تفسير هذه الظاهرة أنه لابد وأن ابن حيان كان يعرف اللاتينية التي مكنته من الاطلاع على المدونات المسيحية، أو أنه كان على اتصال برواة العجم العارفين بأخبار هذه الممالك المسيحية^(٢).

^(١) العنزي أشار إلى طائفة Italica والبكري أشار إلى جزر الخالدات أو السمعات أو كنارياس Islas Fortunatas فرطناطس.

راجع حسين مؤنس تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص ١٩-٢٠، مدريد، ١٩٦٧.

^(٢) راجع مقدمة ابن حيان: المقتبس من أبناء أهل الأندلس، للقسم للخاص بالأمير عبد الرحمن بن الحكم، تحقيق محمود مكي، بيروت ١٩٧٢م.

وما يقال عن ابن حيان يقال أيضاً عن معاصره وصديقه النقيه أبي محمد على بن حزم القرطبي (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٢م). فكتاب ابن حزم المعروف باسم "الفصل في الملل والأهواء والنحل" يعتبر تاريخاً مقارناً للأديان، ويدل على اطلاعه وتحققه بكتابات اليهود والنصارى مستشهداً بنصوص من الإنجيل والتوراة التي كانت تترجم عن اللاتينية والعبرية، وكل هذا يدل على سعة اطلاعه وتوفر النصوص اللاتينية بين يديه^(١). ولا نستبعد على ابن حزم -الذي ينحدر من أصل إسباني وتربى في تصور الخلافة- أن يكون عارفاً باللغة اللاتينية خصوصاً وأنه -كما سبق أن ذكرنا- كان يتعجب من أن قوماً من قبيلة بلئ العربية لا يحسنون الكلام باللطينية.

مثل أخير نضربه بالمورخ والوزير الغرناطي لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)، ففي رواياته التاريخية نلمس تلك التداخل بين الثقافتين العربية والإسبانية، مثال ذلك كثرة استخدامه للألفاظ والمصطلحات الإسبانية التي كانت سائدة بين مواطنيه مثل كلمة قاله Cala بمعنى ميناء أو خليج (لها ميناء وقاله البرتغال Porto Cala)، ومثل كلمة Camara بمعنى مخزن أو غرفة، ولاطوني Laton بمعنى النحاس الأصفر (الألوار اللاطونية)، البرطل Portal بمعنى المدخل، وهكذا.

ولقد استغل هذه الألفاظ كل من المستشرق الهولندي رينهارت دوزي Dozy في معجمه تكملة على المعاجم العربية^(٢)، والمستشرق الإسباني فرانسكو سيمونيت F. Simonet في معجمه الخاص بالألفاظ اللاتينية والأيبيرية المتداولة بين المستعربين^(٣). كذلك أفرد ابن الخطيب في القسم الثاني من كتابه أعمال الأعلام (نشر بروفنسال) فصلاً عن تاريخ الممالك المسيحية الإسبانية

^(١) كتاب الفصل لابن حزم نشر في القاهرة سنة ١٣٢٤هـ، ونشر على هامشه كتاب "الملل والنحل" للشهرستاني الذي عاش بعده بقرن من الزمان، وقد ترجم الراهب الإسباني أسين بالاثيوس كتاب الفصل إلى الإسبانية في خمسة أجزاء، مدريد ١٩٢٧ - ١٩٢٨.

^(٢) R. Dozy : Supplement aux Dictionnaires Arabes, 2 Tomes, Paris, 1927.

^(٣) F. Simonet : Glosario de voces ibericas y latinas usadas entre los mazarabes, Madris, 1888.

وهي قشتالة وأراجون والبرتغال، ونص صراحة على أنه استعان في كتابة هذا الجزء بسفير مملكة قشتالة يوسف بن وقار الطليطلي أثناء زيارته لمملكة غرناطة في مهمة رسمية وأنه استخرج هذا التأييد من الكتاب الذي أمر بعمله الملك الأعظم دون ألفونس أي ملك قشتالة ألفونسو العاشر الملتب بالحكيم أو العالم El Sabio^(١).

وليس بعيداً أن يكون لابن الخطيب درايةً باللغة الإسبانية، ففي حوايات ملوك قشتالة التي كتبها المؤرخ الإسباني لوبث دي أياالا Lopez de Ayala وهو معاصر لابن الخطيب، نجد مجموعة من الرسائل باللغة الإسبانية موجهة من ابن الخطيب Ben Hatim إلى ملك قشتالة بديرو القاسي Pedro El Cruel وهو على شكل مواظ ونصائح أخلاقية وتوجيهات سياسية يحذر فيها من مكائد الذين حوله من أنصار أخيه المنانس له على العرش Enrique de Trastamara ويشيد بالصدقة التي تربط ملك قشتالة بسلطانه ملك غرناطة محمد الخامس الغنى بالله^(٢).

ومن الطريف أن ابن الخطيب يؤيد ما جاء في الحوايات الإسبانية؛ إذ يذكر في كتابه "الإحاطة في أخبار غرناطة" أن سلطانه محمد الغنى بالله، لأن له بتوجيه الوعظ إلى صديقه بطره ملك قشتالة، وأنه نفذ الأمر وتلقى رداً من الملك القشتالي يشكره فيه على نصائحه ويعدده بالعمل بها^(٣). وكل هذا يرينا مدى الأخذ والعطاء الذي تميزت به الرواية الإسبانية بشقيها الإسلامي والمسيحي.

^(١) راجع ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن ببيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثاني، ص ٣٢٢، نشر ليفي بروفسال، بيروت، ١٩٥٧.

^(٢) انظر

Lopez de Ayala: Crónicas de Los Reyes de Castilla, Vol. I, p. 493, Madrid, 1779.

^(٣) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٢، ص ٥٥ - ٥٦، طبعة القاهرة.

المعراج الإسلامي وأثره في الكوميديا الإلهية لدانتى (١) :

مسألة أخيرة في موضوعنا عن البعد المتوسطي في الأندلس، وهي تتعلق بدور إسبانيا بشقيها الإسلامي والمسيحي في موضوع المعراج الإسلامي وأثره في الكوميديا الإلهية لدانتى :

منذ خمسين سنة تقريباً أو على وجه الدقة سنة ١٩٤٩م ثبت تاريخاً أن إحدى صور أو روايات المعراج النبوي قد ترجمت من اللغة العربية إلى القشتالية (الإسبانية) بأمر من الملك الإسباني ألفونسو العاشر الملقب بالحكيم أو العالم El Sabio وذلك سنة ١٢٦٤م، وقام بهذه الترجمة طبيب يهودي في بلاطه بمدينة إشبيلية يدعى إبراهيم الفقيه أو الحكيم، وفي نفس تلك السنة ١٢٦٤م، طلب الملك ألفونسو العالم من الإيطالي منتورا داسينا ترجمتها من الإسبانية إلى اللاتينية والفرنسية لإذاعتها وراء الحدود الإسبانية (٢) .

(١) الكوميديا الإلهية لدانتى ملحمة شعرية مجموع أبياتها ١٤٢٣٣ بيتاً وتنقسم إلى ثلاثة أناشيد متساوية الطول : للجحيم والمطهر والفرديوس، وهي تصور رحلة خيالية قام بها الشاعر دانتى إلى العالم الآخر، ولد نقلها إلى العربية لستاذنا المرحوم حسن عثمان في ثلاثة أجزاء مع دراسة تحليلية لكل جزء منها إلا أنه أسقط من الترجمة جزءاً من الجحيم وهو الخاص بوصف الرسول (ص) وابن عمه علي بن طالب تعرجاً من إيراده لأنه يسيء إلى مكاتهما (نشر دار المعارف) ولد علفت على هذا الجزء للنكص د. رشا حمود الصباح بجامعة الكويت على اعتبار أن لقل الكفر لوص بكال، وشرحت التصورات الأوربية للإسلام في المصور الوسطى التي لرضمت نفسها على الشاعر الإيطالي في ملحمة.

راجع رشا حمود الصباح: التصورات الأوربية للإسلام على المصور الوسطى وتأثيرها في الكوميديا الإلهية، مجلة عالم الفكر، المجلد الحادي عشر، العدد الثالث، ١٩٨٠م.
راجع كذلك مقالنا (المعراج وصداه في التراث الإسباني)، عالم الفكر، يناير - فبراير، ١٩٨٢م.

(٢) النسخة العربية التي ترجمت مفقودة، وأغلب الظن أنها كانت حديث المعراج المنسوب لعبد الله بن عباس ابن عم الرسول الذي دعا لابن عباس بقوله «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل». ويشير بالنتيجة إلى وجود نسخة في لندن رقم ٧٨٦ (تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٥٥٤).

وعلى هذا الأساس كانت الفرصة سانحة أمام الشاعر الفلورنسى الإيطالي دانتي أليغييري Dante Alighieri الذي عاش في ذلك الوقت (١٢٦٥-١٣٢١م) لكي يصل إلى الترجمة اللاتينية والفرنسية للمعراج الإسلامي. وهناك احتمال أن يكون أستاذه Brunetto Latini برونتو لاتيني أو غيره ممن كانوا يترددون بين فلورنسا وبلاط ملك تشتالة قد حمل لدانتي مسودة من الترجمة. المهم هنا هو أن هذه الأصول العربية واللاتينية والفرنسية والإسبانية ظلت مختفية منذ ذلك الوقت إلى أن اكتشف منها حديثاً النص اللاتيني في مكتبة البودليان بأكسفورد، والنص الفرنسي في المكتبة الوطنية بباريس، وقام كل من الإسباني Muñoz Sendino^(١) سندينو والإيطالي Enrique Cerulli^(٢) تشرولي بنشر ودراسة الترجمة اللاتينية والترجمة الفرنسية تحت عنوان Escala de Mahoma أو المعراج المحمدي كل على حده وفي وقت واحد سنة ١٩٤٩م كما سبق أن ذكرنا.

لماذا كان هذا الاختفاء؟ لا أدري! المهم هنا أنه قبل ذلك التاريخ ١٩٤٩م كانت النظرية السائدة هي نظرية المستشرق الإسباني Miguel Asin Palacios في كتابه الذي وضعه بالإسبانية سنة ١٩١٩ بعنوان:

العالم الإسلامي لما بعد الحياة في الكوميديا الإلهية

La Escatología musulmana en la Divina Comedia (Madrid, 1945)

ويقوم على بيان أوجه الشبه بين ما كتبه دانتي وما كتبه الشاعر الأندلسي أبو عامر أحمد بن شهيد (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٤م) في رسالة التوايح والزوايح^(٣)، وما كتبه أبو العلاء المعري^(٤) (ت ٤٤٩هـ / ١٠٥٨م) في رسالة

^(١) José Muñoz Sendino : La Escala de Mahoma, traducción del arabe al castellano, latin y francés ordenado por Alfonso el Sabio (Madrid 1949).

^(٢) Enrique Cerulli: El libro della Scala e la question della fonte árabe-espagnole della Divina Comedia, Città del Vaticano, 1949.

^(٣) رسالة التوايح والزوايح لابن شهيد تحقيق بطرس البستاني (دار صادر، بيروت، ١٩٧٦م).

^(٤) نسبة إلى معرة النعمان من أعمال حلب في شمال سوريا مكان مسقط رأس أبي العلاء المعري (٣٦٣-٤٤٩هـ).

الفقران^(١)، وما كتبه محيي الدين بن عربي المرصفي الإشبيلي (ت ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م) في فتوحاته المكية، فكل منهم له رحلة إلى العالم الآخر كما هو معروف وظن أسين بلاثيوس أن دانتي تأثر بهم. وبطبيعة الحال، بعد اكتشاف الترجمات الأوربية لقصة المعراج، فقدت نظرية أسين أهميتها^(٢) من هذه الناحية، خصوصاً وأنه من الصعب أن يكون دانتي ملماً بالمربية لكي يقرأ كتب ابن شهيد والمعري وابن عربي^(٣) ذات الأسلوب المعقد الغامض في كثير من الأحيان، ولكن من السهل جداً أن يكون دانتي قد استفاد من الترجمة الأوربية للمعراج وكذلك من القرآن الكريم الذي ثبت تاريخياً أن ترجم ملخص له إلى اللغة اللاتينية في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي^(٤). ولعل أوجه الشبه التي تجمع بين دانتي وبين المعري وابن شهيد وابن عربي ترجع إلى أنهم جميعاً استقوا من معين واحد رئيسي وهو قصة المعراج النبوي.

على أن المهم هنا هو أن كل هذه المؤثرات الإسلامية والمسيحية التي تأثر بها دانتي لا تقلل من قيمة عمله الرائع ولا تنقص من أصالته لأن العبرة هنا ليست بالحكم على نوع المادة التي صنع منها عمله وإنما بالحكم على موضوعية العمل نفسه.

وهكذا نرى مما تقدم أن هناك قصة عربية أندلسية للمعراج، وترجمات لها بالإسبانية واللاتينية والفرنسية، بالإضافة إلى ملحمة دانتي الشعرية الإيطالية، وكلها أبعاد متوسطة ساهمت في إخراج رائعة دانتي.

^(١) رسالة الفخران تحقيق وشرح عائشة عبد الرحمن (نخلة للعرب، دار المعارف، ١٩٦٣م).

^(٢) أورد جنثال بالثيا ملخصاً لنظرية أسين بلاثيوس في كتابه تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، ص ٥٥١ - ٧٣م.

^(٣) هناك ابن عربي آخر وهو القاضي أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي، صاحب كتاب "العواصم من القواصم" عاش قبل محيي الدين بن عربي وتولى بغاس سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٩م.

^(٤) حسن عثمان : كوميديا دانتي أليجييري، ج ١ (الجحيم)، ص ٥٩، دار المعارف.